



ظاهرة إساءة معاملة كبار السن في المجتمع الجزائري

د: سامية ابريغم

أستاذة محاضرة قسم العلوم الاجتماعية
جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي- الجزائر

ملخص:

يعد موضوع الإساءة لكبار السن من أكثر المواضيع التي تستحق الدراسة في أهم خباياه خاصة في هذه الآونة وما تتعرض له الجزائر وفئة مسنمها من شتم وضرب وإهمال....الخ.
وعليه فإن الاهتمام بمراجعة الإنتاج العلمي المتعلق بها للوقوف على الأسباب المؤدية لسوء معاملة كبار السن، وواقع انتشارها في الجزائر، والآثار المترتبة عليها أمر في غاية الأهمية لتحقيق الحماية والوقاية للمسنين من إساءة المعاملة بمختلف أشكالها، وهذا ما يهدف إليه هذا المقال.

Abstract :

The subject of the abuse of older people is one of the most important topics that deserve to be studied in the most important of his experiences, especially at this time, and what is being exposed to Algeria and the old class of insulting, beating and neglect ... etc.

Therefore, the interest in reviewing the scientific production related to it to find out the causes of the abuse of elderly people, and the reality of its spread in Algeria, and its implications is very important for the protection and prevention of the elderly from abuse in various forms, and this is what this article aims at.

مقدمة:

تعد ظاهرة إساءة معاملة كبار السن مشكلة اجتماعية خطيرة، يعاني منها العديد من المجتمعات في الوقت الراهن، حيث تعد هذه المشكلة أحد المظاهر المهمة لعنف الأسرة، حيث نجد أن بعض التقاليد السائدة في معظم المجتمعات مثل احترام الكبير وتوقيره، وخصوصية الأسرة قد أصابها الاختلال نتيجة لحدوث كثير من التغيرات الاجتماعية، وهذا الخلل قد تنشأ عنه مشكلة سوء معاملة كبار السن، ولقد ظلت هذه المشكلة مهمة وبصفة خاصة في المجتمعات العربية بسبب اعتقاد ديني بأن الأبناء لا يمكن أن يسيئوا معاملة والديهم، إلى أن التفت إليها كثير من الاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين والقانونيين وأظهرت أبحاثهم وجود ضحايا من الآباء لسوء معاملة الأبناء، وهو ما لم يكن يصدق حسب التقاليد لذلك فقد بذلت الجهود مؤخراً في دول عديدة لإنقاذ المسنين، الذين يعانون من سوء المعاملة على أيدي القائمين برعايتهم، ومن بين الوسائل والطرق التي اتبعت لتحقيق هذا الغرض بدرجات متفاوتة في أنحاء مختلفة من العالم، إجراء تعديلات جذرية في بعض القوانين وإتباع طرق ملائمة للوقاية والعلاج تشمل المسن والأسرة.

ونحن في الجزائر في الحقيقة لا توجد لدينا أرقام دقيقة التي تشير إلى وجود إساءة معاملة للمسن بين الأسر الجزائرية، وقد يعود ذلك إلى عدة أسباب من بينها:

- عدم بوح كبار السن بما تعرضوا له من إساءة نتيجة للصدمة الانفعالية تجاه الأبناء أو شريك الحياة أو خوفهم من تشوه صورة عائلتهم في عيون الآخرين.
- جهلهم للجهات التي يمكنهم اللجوء إليها من أجل الشكوى، أو انعدامها أصلاً.
- قيام أفراد العائلة القائمين على رعاية كبار السن بفرض نوع من العزلة الاجتماعية الإجبارية عليهم.

- عدم تسجيل الحالات على أنها حالات إساءة أو إهمال في سجل المستشفيات أو في محاضر التحقيقات، حيث أن عدداً من التحقيقات التي تقوم بها الجهات الرسمية والمختصة تتم باستمرار دون تسجيل محاضر حرصاً على العلاقات الأسرية في حالة ما إذا كان القائم بالإساءة ينتمي لعائلة كبار السن، ونتيجة لعدم التنسيق بين الجهات

المختلفة في حالة كون القائم بالإساءة ينتهي إلى فئات أخرى كالعاملين في دور الرعاية أو المؤسسات القائمة على رعاية هؤلاء الفئة من المجتمع⁽¹⁾. ولهذه الأسباب وغيرها سوف نهتم بأن نعرض مختلف جوانب هذه الظاهرة، وما يتصل بها من معلومات مختلفة، من خلال الآتي: مفهوم إساءة معاملة كبار السن، وأشكالها، وأهم النماذج النظرية المفسرة لها، ومعرفة واقع ظاهرة إساءة معاملة كبار السن في الجزائر، وآثار انتشارها، وأخيرا طرق الوقاية من انتشار هذه الظاهرة. ونبدأ باستعراض ظاهرة إساءة المعاملة لكبار السن على النحو التالي:

أولا - تعريف إساءة معاملة الكبار:

في الحقيقة لم تحظ مشكلة الإساءة ضد كبار السن بالاهتمام حتى السنوات القليلة الماضية ، حيث ركزت معظم أبحاث العنف الأسري على دراسة العنف الموجه نحو الزوجات والأطفال ، إذا إن ظاهرة الإساءة ضد كبار السن لم يبدأ الحديث عنها إلا في فترة الستينات والسبعينات من القرن الماضي وازداد الاهتمام بها في الثمانينيات بسبب ازدياد أعداد كبار السن.

وينطوي مفهوم إساءة معاملة الكبار على قدر من الصعوبة في تعريفه وتحديدده ، نظراً لأن كبار السن قد يظهرون علامات وأعراضاً مرضية ، تشبه أعراض الإساءة ، لذلك وردت تعاريف متعددة توضح ظاهرة إساءة معاملة كبار السن نذكر بعضها كالتالي :

أ - التعريف اللغوي للإساءة:

جاء في المعجم الوسيط (أساء) فلان: أتى بسئ، السئ: الذي لم يحسن عمله والحق به ما يشينه ويضره⁽²⁾.

ب - التعريف الاصطلاحي:

* تعريف منظمة الصحة العالمية:

هو جزء من العنف العائلي الذي يحدث غالبا بين أفراد العائلة ، وإن لم يكن حدوثه مقصوراً بالضرورة على المنزل ، ويشمل هذا العنف في ما يشمل إساءة معاملة الطفل والمسن⁽³⁾ .

*** تعريف الأمين العام للأمم المتحدة :**

هي فعل متكرر أو غير متكرر، أو هو فقدان للفعل المناسب الذي يحدث في أي علاقة يتوقع فيها الثقة ، ومن شأنه أن يؤدي إلى حدوث أذى لكبير السن ⁽⁴⁾ .

*** تعريف عبد العزيز بن علي الغريب وناصر بن صالح العود:**

هي أي سلوك متعمد أو غير مبرر يوجه لكبير السن، التي تسبب له المعاناة والألم، أو أنها سلوك أو اتجاه ضد كبار السن الذي يسبب أذى أو ألماً لكبير السن سواء أكان جسمياً أو عاطفياً أو جنسياً أو إساءة اجتماعية ⁽⁵⁾ .

: Kingston*تعريف كينجستون

هي أذى جسدي أو عقلي أو نفسي أو أي نوع من الإهمال يتعرض له كبير السن من شخص مسئول عن رعايته تحت ظروف تهدد أو تضر بصحته وسعادته ⁽⁶⁾ .
ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج بأن الإساءة لكبار السن هي أي أذى مقصود لكبير السن من قبل شخص أو أشخاص أنيط بهم لرعايته بصورة تؤدي إلى أثار سلبية على جميع جوانب حياته .

ثانيا – أشكال إساءة معاملة كبار السن:

هناك عدة أشكال للإساءة التي يتعرض لها كبار السن، ومن أبرز تلك الأشكال ما يلي:

أ – الإساءة الجسمية:

وهي إلحاق الأذى البدني بالمسن ويتم ذلك بطريقتين:

- الطريقة المباشرة: وتتضمن الضرب، والعض، ودفع المسن، وهزه، والصفع، والطرده من المنزل أو إيداعه في المستشفى أو دور الرعاية، أو أي أذى بطريقة أخرى.
- الطريقة الغير المباشرة: وتتضمن سوء الرعاية الصحية وما يترتب عليها من تفاقم الأعراض المرضية للمسن، أو تعرضه للحوادث والإصابات بسبب الإهمال الشديد في أسلوب الرعاية، كما تتضمن أيضا منع الطعام عنه والملبس المناسب وأي ضروريات أخرى.

وتعد الإساءة البدنية من أكثر الجوانب التي يمكن اكتشافها بسهولة نظراً لأن نتائجها تكون واضحة للعيان كالكدمات والكسور⁽⁷⁾.

ب – الإساءة النفسية:

وتشمل أفعالاً من قبل القائمين بالرعاية مثل إكراه المسن وإذلاله وحرمانه من حقوقه الأساسية وتهديده بالهجر، والطرده من المنزل، كذلك يتحقق الإيذاء النفسي بمجرد حرمان المسن من الحصول على القدر الكافي من الحب والدعم والرعاية أو فقدان الإحساس بالأمن داخل الأسرة .

كذلك أورد تقرير الأمين العام للأمم المتحدة أنماطاً أخرى للإيذاء النفسي، تتضمن الكلمات أو الألفاظ والأفعال التي من شأنها أن تشوه سمعة المسن، وتقلل من شأنه وقيمه الذاتية.

ويترب على هذا النوع من الإساءة بعض النتائج السلبية للمسن مثل الخوف وفقدان القدرة على اتخاذ القرارات، والانسحاب والاكتئاب، والأرق، وتغيير الشهية، وضعف تقييم المسن لذاته وتشوش الوعي⁽⁸⁾.

ج – الإهمال:

ونعني به القيام بأي أفعال ينتج عنها حرمان المسن من حاجاته الأساسية مثل عدم حصوله على الطعام المناسب له من حيث الكم والنوع ، والملبس الكافي والملائم له، وعدم الاهتمام بنظافة جسمه وكذلك عدم حصوله على الرعاية الطبية الملائمة له .

د – الإساءة المادية:

ويتضمن هذا النوع من أشكال الإساءة سوء إدارة الموارد المالية للمسن بدون علمه، مثل سرقة مبالغ من أمواله، وحرمانه من حقوقه المالية، وسوء استخدام أمواله وممتلكاته مقابل القيام برعايته، والتزوير في توقيع المسن على الشيكات أو أي وثائق أخرى.

و – انتهاك الحقوق:

يعد انتهاك الحقوق أحد الأشكال الشائعة لسوء معاملة كبار السن ويتضح هذا الشكل من الإساءة من خلال إجبار المسن على ترك منزله، وإنكار حق المسن في المشاركة في النشاطات الاجتماعية، وممارسة حقوقه في الحياة كالآخرين، والمثال على ذلك حرمان

المسن من مصادر المعلومات كالتلفاز والراديو وقراءة الجرائد، وعزله عن الأصدقاء وباقي أفراد العائلة، أو إجباره على الإقامة في المؤسسات، وحرمانه من استخدام ماله الخاص، وحرمانه من الزواج بهدف التحكم بشكل أكبر في المسن⁽⁹⁾.

ثالثا- النظريات المفسرة لإساءة كبار السن:

نظراً لتعدد أشكال الإساءة لكبار السن ، ووجود عدد من المتغيرات الطارئة المحددة التي تسهم في وجود شكل معين من أشكال سوء معاملة كبار السن من قبل بعض القائمين على رعايتهم، فلقد تعددت وجهات النظر المفسرة لها ، ولذلك راعت الباحثة أن تناقش الإساءة من حيث المتغيرات التي تسهم في تفسيرها باعتبارها ظاهرة نفسية اجتماعية، ترجع إلى التفاعل بين مجموعة من المتغيرات، حيث من الإمكانية أن تندرج هذه المتغيرات ضمن النماذج التالية:

أ – النموذج النفسي:

يفترض هذا النموذج أن اللذين يقومون بالرعاية واللذين يقومون بالإساءة إلى كبار السن تكون لهم سمات شخصية معينة، أيضا ترجع سوء المعاملة إلى الحالة المرضية للشخص الذي يسئ المعاملة متدرجا من المرض العقلي الخطير إلى السمات الشخصية المنحرفة ، كذلك أوضحت بعض الدراسات النفسية أن الشخص الذي يسئ معاملة كبار السن غالباً ما يكون قد عاش ظروف وأحداث حياة تؤدي به إلى الإحباط، فتنشأ لديه طاقة تدفعه إلى الاعتداء على العائق الذي يعتقد أنه حجبته عن أهدافه، وحين يعجز الفرد عن الاعتداء على هذا العائق فإنه يتجه بتلك الطاقة العدوانية إلى هدف آخر، من خلال بعض الأساليب مثل تعاطي المخدرات، أو ضرب المسن، كذلك العزلة الاجتماعية والوجدانية التي يعيش فيها القائم برعاية المسن من أهم العوامل التي تؤدي به إلى إساءة معاملته، حيث يشعر بأنه يعجز عن التحكم في الموقف⁽¹⁰⁾.

ب – النموذج الاجتماعي:

يركز هذا النموذج على السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه إساءة معاملة كبار السن ، فالعوامل الاجتماعية البيئية مثل الوضع الاجتماعي والاقتصادي ، كالبطالة والصعوبات المالية ، وظروف السكن والمعيشة، وحجم الأسرة وتركيبها تعد عوامل أساسية للضغوط التي تؤدي إلى سوء معاملة المسنين.

كما يركز هذا النموذج على الضغوط البيئية المتراكمة من داخل الأسرة أو خارجها وعلاقتها بانعزال أفراد الأسرة وكيفية علاقة تلك العوامل بإيذاء المسن.

وعلى العموم تشكل عوامل التفكك الأسري والصراع العائلي محدداً رئيسياً لإساءة معاملة كبار السن كما أن عدم تواصل العلاقة بين الأجيال وغياب روح المودة، أو انشغال الأبناء كل بحياته قد يدفع إلى إهمال المسن.

كذلك طبقاً لهذا النموذج فإنه ينظر إلى المجتمع الكبير على أنه عامل أساسي في سوء معاملة كبار السن وإهمالهم ، فالنظرة السلبية للمسنين من قبل المجتمعات هي الدافع الأساسي لاندماج القائمين بالرعاية في الإساءة فعلى سبيل المثال يتم النظر إلى المسنين على أنهم أقل فائدة وفوق ذلك فقد تنظر بعض المجتمعات لمرحلة التقدم في العمر ليس على أنها إحدى المراحل العمرية وإنما على أنها مرحلة النهاية.

كما تقترح نظرية التبادل الاجتماعي على أن الإساءة ضد كبار السن تنشأ عادة عن عجز المسن عن رعاية نفسه واعتماده على الآخرين، مما يؤدي إلى حدوث عدم التوازن في تبادل ألوان الدعم الإيجابية التي تحدث أثناء تفاعلهم مع القائمين برعايتهم، وقد تنشأ أيضاً نتيجة لكثرة طلبات المسن، وإلحاحه على تحقيق كل ما يريده بشكل يفوق الإمكانيات المادية والنفسية لمن يقومون برعايته .

ج – النموذج البيئي التكاملي:

هذا النموذج يعتبر إساءة معاملة كبار السن ظاهرة متعددة الأبعاد تنتج عن صفات متعددة مثل صفات القائمين بالرعاية، والسمات الشخصية للمسن، وعمليات التفاعل الأسرية، والضغوط الاجتماعية البيئية على الأسرة والمجتمع، وإذا أمعنا النظر في أسباب هذه الإساءة لوجدنا أن هناك خللاً أساسياً في بنية القاعدة التي انطلق منها، أي في البنية الاجتماعية للإنسان ، ومرد هذا الخلل تخلف في ضبط السلوك الفردي، أو

في مواقف التوافق الاجتماعي، أو أن عملية التنشئة الاجتماعية لم تكن صحيحة وسليمة.

وتعد التنشئة الأسرية للفرد من المتغيرات المهمة المحددة لظاهرة إساءة معاملة كبار السن ، فالأسرة بوصفها أولى المؤسسات الاجتماعية الناقلة للثقافة تمارس دوراً مهماً في غرس الميول العدوانية أو كفها لدى أفرادها من خلال الأساليب المتنوعة التي تلجأ إليها في القيام بالدور الموكل لها في عملية التنشئة الاجتماعية، ويجسد هذا الدور المظاهر والممارسات التالية :

- الإفراط في استخدام العقاب البدني.
- تجاهل الأبناء مما يثير لديهم الشعور بالعزلة، والميل إلى إدراك الآخرين بوصفهم معادين لتأكيد وجودهم
- التمييز بين الأبناء في أساليب المعاملة والجوانب المادية والعاطفية على النحو الذي يثير لديهم الشعور بالعدائية .

بناء على ما سبق نجد أن الإساءة تولد إساءة فالأسلوب الذي يعامل به الآباء أبناءهم والذي يعتمد على العقاب والتفرقة يؤدي إلى نقص علاقة الحب والدفء بينهم في الأسرة ، ويترتب أن يقوم الأبناء عندما يكونون مسئولين عن رعاية آبائهم بالإساءة إليهم عندما يصبحون مسنين وضعفاء⁽¹¹⁾

ومن خلال عرض النماذج التفسيرية السابقة يتضح لنا جلياً أن إساءة معاملة كبار السن تساهم فيها عدة مدخلات تتعلق بكل من الضحية والقائم بالإساءة ، تتمثل في كافة المتغيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية تتفاعل مع بعضها البعض.

رابعاً. واقع إساءة معاملة كبار السن في المجتمع الجزائري:

وتشير الدراسات إلى أنَّ كبار السن في العديد من دول العالم يتعرضون يومياً لسوء المعاملة والعنف سواء جسدياً أو نفسياً أو حتى مادياً من خلال حَجْر بعض الأبناء على آبائهم، كما تؤكد الدراسات أنَّ قضايا الاعتداء على كبار السن وإهمالهم وممارسة العنف ضدهم لا تزال من القضايا الاجتماعية المسكوت عنها بل إنَّ العديد من المسؤولين يتقاعسون عن إيجاد الحلول التي تسهم في علاج هذه الظاهرة الأخذة في

الانتشار، حيث ثمة حقيقة تؤكد أنَّ الأبناء يشكلون المتهم رقم واحد في قضايا العنف، ويأتي الزوج أو الزوجة بنسبة الثلث، وتؤكد دراسة لمنظمة الصحة العالمية أنَّ النساء المسنات يتعرضن للعنف بما نسبته 36% من قبل الشباب، بينما المسنون الرجال يتعرضون للعنف بنسبة أقل.

وأشارت تقارير إلى أنَّ الإهمال يعد جزءاً لا يتجزأ من العنف، مؤكدة أنَّ عدد الوفيات داخل مراكز رعاية المسنين نتيجة الإهمال قد بلغ حداً خطيراً لا بد من الالتفات إليه والتصدي لمثل هذه التجاوزات⁽¹²⁾.

ولقد كشف تقرير أنجزته وزارة التضامن الاجتماعي حول وضعية الأسرة الجزائرية مجموعة من الحقائق مدعمة بالأرقام حول واقع المسنين في الجزائر، مع الإشارة إلى أنها المرة الأولى التي يهتم فيها إحصاء رسمي بهذه الشريحة المغيبة، على اعتبار أن الإحصائيات المتداولة في العموم تخص شريحة الشباب التي تشكل الغالبية العظمى لتركيب المجتمع الجزائري.

وأشار التقرير إلى أن عدد المسنين في الجزائر يتجاوز المليونين، إذ يصل بالضبط إلى حدود 713,530,2 نسمة، من ضمنها أكثر من مليون و255 ألف رجل مقابل مليون و275 ألف امرأة. الجدير بالذكر أن المقصود بالمسنين في تقرير وزارة التضامن كل من تجاوز الـ 60 سنة، ومع أن هذه الشريحة ليست بالعريضة، إلا أن الواقع الذي يرسمه التقرير يركز على الواقع المتردي لها، حيث تستمر في المعاناة بين إهمال السلطات العمومية وبين تغير المفاهيم في المجتمع الجزائري. واقع الشيخوخة التي وصفها التقرير بأنها رمز السلطة والنزاهة في الأسرة، يزداد خطورة بالنظر لارتفاع معدلات الحياة، حيث أن العناية الصحية المتوفرة سمحت بتجاوز معدل الحياة عتبة الثمانين السنة، في حين أن السن القانونية للتقاعد يبدأ في سن الستين بالنسبة للرجال و55 سنة بالنسبة للنساء، ما يعني أن المسن في الجزائر يقضي أكثر من عشرين سنة في الفراغ، على اعتبار غياب الهياكل التي تستوعب هذه الشريحة، ما يجعلها غير فاعلة في المجتمع، الأمر الذي يؤكد بخصوصه الدكتور بن عبد السلام فتحي، طبيب عام "أن يشعر الفرد أنه دون أهمية وغير قادر على تأدية أي دور يساهم بشكل كبير في ظهور الأمراض، فقد بدأنا في

الفترة الأخيرة نسجل ارتفاع حالات الزهايمر وغيرها من الأمراض التي تؤكد انعزال المسنين وابتعادهم عن الحياة اليومية الفاعلة⁽¹³⁾،

وتبين إحصائيات الدرك الوطني تسجيل 514 قضية ضرب الأصول سنة 2000 يوجد ضمن المتورطين فيها 16 قاصرا كما تمت معالجة 484 قضية سنة 2001 و 543 قضية سنة 2005 مقابل 520 قضية تعد على الأصول سنة 2006، يوجد 22 قاصرا ضمن المتورطين فيها.

وسجلت وحدات الدرك الوطني في إطار هذا النوع من الجرائم أن أكثر الولايات تسجيلا لجريمة الضرب والجرح العمدى ضد كبار السن سنة 2006 هي وهران، الجزائر، ميلة، تبارت، إذ تأتي وهران في المقدمة بـ 50 قضية وتليها الجزائر بـ 22 قضية وتبعها لإحصائيات السداسي الأول من عام 2007 تبقى وهران من الولايات الأكثر تسجيلا لجريمة الضرب والجرح العمدى ضد الأصول، حيث تمت معالجة 13 قضية بها وتليها سطيف بـ 09 قضايا، علما أن الولايات التي لم يتم بها تسجيل هذا النوع من الإجرام تتموقع معظمها في الجنوب الجزائري.

ولقد دلت الأرقام المقدمة من طرف مصالح الدرك الوطني 6664 سنة 2007 6664 تسجيل قضية متعلقة بظاهرة العنف ضد كبار السن، حيث تم توقيف 8340 شخصا أودع منهم 6048 شخصا الحبس الاحتياطي، أغلبيهم شباب تتراوح أعمارهم ما بين 19 و 28 سنة، وبخصوص الضرب والجرح العمدى ضد الأصول فقد سجلت نفس المصالح 402 قضية سنة 2006، تم إثرها توقيف 423 شخصا من بينهم 21 قاصرا و 66 كهلا تتجاوز أعمارهم بين 40 سنة، وهنا يمكن تصور عمر الأب أو الأم الضحية، وتبعها لإحصائيات السداسي الأول من عام 2007 تبقى وهران من الولايات الأكثر تسجيلا لجريمة الضرب والجرح العمدى ضد الأصول، حيث تمت معالجة 13 قضية بها وتليها سطيف بـ 09 قضايا، علما أن الولايات التي لم يتم بها تسجيل هذا النوع من الإجرام تتموقع معظمها في الجنوب الجزائري.

على صعيد آخر تؤكد المعطيات المستقاة من خلال فعاليات الأيام التحسيسية التي تنظمها خلية الدرك الوطني لحماية الأحداث بالتنسيق مع خلايا الإصغاء التابعة لمصالح الأمن بين فترة وأخرى على أن تعاطي المخدرات يعد من أهم الآفات التي تساهم

في إفراز ظواهر تهدد التماسك الأسري، حيث تكشف أرقام مصالح الدرك الوطني عن تسجيل 65 قضية ضرب لكبار السن، معظمهم من الأصول خلال الثلاثي الأول من السنة الجارية، وذلك بسبب المخدرات⁽¹⁴⁾.

أما في سنة 2010 تم توقيف 44665 شخص قاموا بممارسة العنف ضد أصولهم منهم 442 ذكور و23 إناث، ولقد تصدرت ولاية سطيف المرتبة الأولى في انتشار هذه الظاهرة إذ تم معالجة 41 قضية، تليها ولاية وهران ب38 قضية، والشلف ب24 قضية⁽¹⁵⁾. (نوار باشوش).

كما نشير في هذا السياق أن مصالح الدرك الوطني سجلت 113 قضية عنف ضد الأصول خلال سنة 2011، إذ تم توقيف 96 شخصا من بينهم 3 نساء في حين تم حبس 41 شخصا⁽¹⁶⁾.

(رزيقة أردغال)، وتم تسجيل سنة 2012 أزيد من 67 ضحية من المسنين بينهم 43 من الآباء و24 من الأمهات⁽¹⁷⁾.

ومن خلال العرض السابق لواقع إساءة معاملة كبار السن في الجزائر، نلاحظ مدى تفشي هذه الظاهرة التي أصبحت من الظواهر المرضية التي تعاني منها الجزائر، إلا أنه تبقى هذه الإحصاءات المقدمة نسبية وذلك في ظل تردد الكثير من الأشخاص خاصة منهم المسنين في الإبلاغ بالاعتداء الجسدي والمعنوي، والجنسي الممارس عليهم، سواء من قبل أفراد الأسرة أو من قبل الأشخاص الغرباء عنهم.

خامسا- آثار إساءة معاملة كبار السن:

- 1 - رغم أن التكلفة المالية والبشرية المباشرة وغير المباشرة لسوء معاملة كبار السن لا تزال غير معروفة بدقة، فإن التقديرات تشير إلى التكلفة المرتفعة.
- 2 - والتكاليف المباشرة لسوء معاملة كبار السن هي التكاليف المرتبطة بالوقاية والتدخل، بما في ذلك تقديم الخدمات، والإجراءات الجنائية والقضائية، والرعاية المؤسسية، والوقاية، وبرامج التثقيف والبحث. أما التكلفة البشرية غير المباشرة لسوء معاملة كبار السن فهي الناتجة عن انخفاض الإنتاجية، وتدهور مستوى المعيشة، والألام والمعاناة النفسية، وانعدام الثقة، وفقدان تقدير الذات، والعجز، والوفاة في سن مبكرة.

3 - أشارت بعض الدراسات العملية إلى النتائج الصحية البدنية والنفسية الطويلة الأجل التي يؤدي إليها سوء معاملة كبار السن. ومن تلك النتائج:

3-1 - الأضرار الدائمة الناتجة عن إصابة بدنية.

3-2 - الاتكال على الأدوية والكحول.

3-3 - انخفاض مستوى نظام المناعة.

3-4 - اضطرابات الأكل المزمنة وسوء التغذية.

3-5 - إيذاء النفس أو إهمالها.

3-6 - القابلية للاكتئاب.

3-7 - الخوف والقلق الشديد .

3-8 - التربة إلى الانتحار.

3-9 - الوفاة .

وتتوقف نتائج سوء معاملة الكبار على أنواع ما يلحقهم من إصابات أو ضرر، وعلى الغرض من سوء المعاملة، وقسوته، وشدة، وتواتره، وطول مدته. ويؤثر توافر الدعم الصحي والاجتماعي، وحسن توقيته أيضا على النتيجة النهائية⁽¹⁸⁾.

سادسا - طرق الوقاية من إساءة معاملة كبار السن:

بعد تحديدنا لأسباب الإساءة، يجب علينا أن نتجه لاتخاذ طرق الوقاية المتعددة، لأن برامج الوقاية الفعالة يتم إعدادها وتكوينها بمعرفة عوامل المخاطرة أو الاستهداف، أو الظروف المعروف أنها تسبب الإساءة والإهمال وتتمثل طرق الوقاية على ثلاث مستويات كالتالي:

- الوقاية من الدرجة الأولى:

تقديم المساندة الاجتماعية بكافة أنواعها للقائمين بالرعاية لتفادي أي نوع من المشكلات سواء كانت اجتماعية أم اقتصادية، مثلا زيادة الروابط بين الآباء والأبناء.

- الوقاية من الدرجة الثانية:

تقديم بعض برامج التدخل المخصصة للقائمين بالرعاية والمعرضين للمخاطر الشديدة.

- الوقاية من الدرجة الثالثة:

والتي توجه للمسنين اللذين تعرضوا للإساءة لتقليل النتائج السلبية، كتوسيع نطاق خدمات المساندة بما فيها الخطوط الساخنة والخدمة المنزلية والرعاية الصحية والنفسية لهم.

وعلى العموم يرتبط منع إساءة معاملة كبار السن باتخاذ عدة إجراءات تتمثل فيما يلي :

- تنمية اتجاهات ايجابية للمجتمع نحو مرحلة التقدم في العمر (الشيخوخة) .
- تصحيح فكرة أن إيداء المسن أو إهماله يقتصر على عينة من الأبناء فقط، بل هي ظاهرة يجب تدخل كل أطراف المجتمع.
- إصلاح الجوانب الثقافية والاجتماعية وجعلها أكثر إنسانية .
- تهيئة برامج تنمية وإعداد للقائمين بالرعاية والعناية والعلاج المبكر للمسن.
- عقد ندوات ومحاضرات للوالدين، وتزويدهم بالمعلومات الهامة حول معاملة الأبناء وهذا لتجنب لأي خلل مستقبلي من جانب الأبناء.
- وضع برامج توعية مخصصة للأفراد القائمين بالرعاية غير الرسمية من أفراد الأسرة ، كالزيارات المنزلية التي يقوم بها اختصاصيون نفسيون مدربون وذلك من أجل تقديم الخدمات التالية :

- *تحسين مهارات القائمين بالرعاية في كيفية التعامل مع ضغوط رعاية المسن .
- *تعزيز العلاقة الوجدانية بين القائم بالرعاية والمسن والاتصال فيما بينهم.
- *تحسين مهارات القائمين بالرعاية في كيفية التعامل مع ضغوط المسنين ذوي الأمراض كمرض العته.

*حصول كل من المسن والقائم بالرعاية على الخدمات النفسية .
*وضع بعض الاستراتيجيات المعرفية والسلوكية في التعامل مع الأفكار والمعتقدات حول الإساءة تكون ذات فعالية في الموقف كاستراتيجيات إدارة الغضب⁽¹⁹⁾.
- إنشاء جمعيات أصدقاء كبار السن تعني بشؤونهم ، وسوف تكون بمثابة اعتراف الدولة بأهمية هذه المرحلة، وبضرورة قيامها برعاية الواقعين في نطاقها وأن تتضمن هذه الجمعيات جميع الرعاية الضرورية لكبار السن اجتماعيا ونفسيا وصحيا واقتصاديا⁽²⁰⁾.

خاتمة:

لقد استعرضنا في هذه المداخلة سلوكيات الإساءة الموجهة نحو كبار السن، والتي تعتبر انتهاك للحقوق الأساسية لهم التي وضعتها منظمة حقوق الإنسان ، كما وجد من خلال الإحاطة بالمعارف العلمية المتاحة في هذا المجال أن حقوق المسنين تكون مستهدفة للعنف في المواقف المختلفة داخل الأسرة وفي المؤسسات الخاصة برعايتهم ، كما استعرضنا أنواع الإساءة الموجهة نحو الكبار، أيضا أهم الأطر النظرية المفسرة لهذه الظاهرة، وواقع انتشارها في المجتمع الجزائري من خلال عرض بعض الإحصائيات المتوفرة، وآثارها، وطرق الوقاية من انتشارها .

وعلى العموم تبقى مشكلة إساءة معاملة كبار السن وعدم تلبية حاجاتهم البدنية والنفسية والاجتماعية الأساسية من المشكلات القديمة الحديثة التي عانت ولا تزال تعاني منها الكثير من المجتمعات ومنهم المجتمع الجزائري ، وهذا لأنه في حقيقة الأمر يصعب تحديد حجم إساءة معاملة كبار السن بشكل دقيق لعدم وجود إحصاءات ودراسات كافية حول حجم هذه الظاهرة ، إضافة إلى عدم دقة الإحصاءات المتيسرة ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها :

- صعوبة الإبلاغ عن واقعة الإساءة من طرف كبار السن المتعرضين لها.
- صعوبة تحديد المظاهر العامة للإساءة خاصة الإساءة النفسية.
- محاولة التستر على تعرض المسنين للإساءة خاصة من طرف أفراد الأسرة.

وفي النهاية يجب الإشارة إلى أهمية إجراء دراسات دقيقة حول هذه الظاهرة ولفت الانتباه إلى هذه الشريحة المهمة من المجتمع كيف لا وهم في الأول والأخير هم آباؤنا.

قائمة المراجع:

- 1 – عزة عبد الكريم مبروك، سوء معاملة كبار السن: الأسباب والنتائج، دورية دراسات نفسية، تصدر عن رابطة الأخصائيين النفسيين، القاهرة، (المجلد 13، العدد 04)، أكتوبر 2006، ص 373
- 2 - مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الأول، تركيا، المكتبة الإسلامية، دون سنة نشر، ص 459.
- 3 – عبد العزيز بن علي الغريب وناصر بن صالح العود، الحماية الاجتماعية لكبار السن، الرياض، مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف للعلوم الأمنية، 2007، ص 26-27.
- 4 – عزة عبد الكريم مبروك، نفس المرجع، ص 27.
- 5 - عبد العزيز بن علي الغريب وناصر بن صالح العود، نفس المرجع، ص 27.
- 6- Kingston,P, Elder Abuse and Neglect , Handbook of clinical psychology of aging , Jon wiley, 1996, p423.
- 7- Matcha,D, The Sociology of Aging :A Social Problem Perspective, london ,Allyn Bacon, 1997 , p22.
- 8- Valsler,M, Elder Abuse ,www.Http://aoa.dhhs.gov/abuse/report/html , 28/09/2015.
- 9 - عزة عبد الكريم مبروك ، نفس المرجع ، ص 374-376
- 10- Bradley,M, Elder Abuse, Practical Issues,BMJ Books,1998, london, p7.
- 11 - عزة عبد الكريم مبروك، نفس المرجع ، ص 378-380 .
- 12- <http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs357/ar/>. 01/10/2017
- 13 - <http://www.startimes.com/f.aspx?t=32187376> 01/10/2017



14 - <http://www.djazairess.com/elmassa/79> 01/10/2017

15 - نواره باشوش، جزائريون يقتلون ويغتصبون أولياءهم بكل برودة، جريدة الشروق اليومي، الجزائر، (العدد 3645)، 05 ماي 2012، ص 04.

16 - رزيقة أدغال، آباء وأمّهات ضحايا إدمان أبنائهم على المخدرات، جريدة الخبر، الجزائر، (العدد 6705، السنة 22)، 05 ماي 2012، ص 16.

17- نواره باشوش، نفس المرجع، ص 04.

18 - www.un.org/arabic/.../ageing/.../E_CN_2002_PC2.pdf 02/10/2015

19 - عزة عبد الكريم مبروك ، نفس المرجع ، ص ص 378 - 380 .

20- عبد العزيز بن علي الغريب وناصر بن صالح العود، نفس المرجع، ص 103.